وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

# عنوان البحث:

## تكريم الإنسان بين الهدايات القرآنية والمقاربات البشرية

اسم الباحث/ـة

أ.د/ رضوان بن إبراهيم لخشين

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله المتفرد بالجلال والكمال تعظيماً وتكبيراً، نحمده حمداً طيباً مباركاً فيه كثيراً. وأشهد ألا إله إلا الله خلق فأوجد، وهدى ووفق وسدد، أنزل القرآن على النبي الأكرم وقال سبحانه قولاً عظيماً: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أكرم من قرأ كلام ربه ورتل، وأعظم من لكلام الله تدبر وتأمل، فكان سيد ولد آدم أجمعين، ورحمة الله للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من تبعهم من أئمة العلم مفسرين ومحدثين، قدامى ومتأخرين ومعاصرين، أما بعد:

فلا زال الزمان المعاصر في ظل حركاته الفكرية المختلفة واتجاهاته العقلية المتباينة تطلع علينا بين الحين والآخر بكثير من الآراء التي يرى فيها المثقف المسلم شيئاً من الانحراف، وعدم الوضوح، ورغبة في تغريب الدين، ومفاهيمه، سيما إذا تعلقت تلك الأفكار والطروحات بالقرآن الكريم، تفسيراً واستنباطاً، تأصيلاً وتدليلاً، فكما أن الاستدلال بالقرآن قوي المنزع، فكذلك تبعات الخطأ فيه خطير ومفزع.

وقد كان مما استقر في ذهني من كثير من المسموعات والمقالات التي رددتها كثير من الأوساط المثقفة، أو التي تنسب إلى الثقافة تلك التأصيلات في مسألة الإنسانية، ومنزلتها، وعلاقة الأديان بها، وكان من أهم ما يدور على كل تلك الألسن اهتمام الإسلام بالإنسانية وأنه الدين الوحيد الذي اهتم بها وأولاها غاية العناية والرعاية، وأنه الدين العظيم الذي كرم الإنسان والإنسانية، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء]، فهو الدين الوحيد الذي كرم كل بني آدم، فرأيت في هذا النوع من توجيه الآيات القرآنية لموافقة الأفكار المعاصرة، وهذا الطريق من الاستدلال

غير مرضي ولا مُقنع، لما فيه من انتقائية واضحة، وبُعد عن الإلمام بمنهج القرآن الكريم في رسم المبادئ، وتقرير القيم، فأحسست برغبة ذاتية وافقت ما جاء في هذا الملتقى الكريم من محاور علمية متعلقة بالإنسان والهدايات القرآنية،

فاشتد العزم وقوية الهمة للمشاركة في هذا الملتقى الطيب بهذا البحث الذي **عنونته بـ: "تكريم الإنسان بين الهدايات القرآنية والمقاربات البشرية"**

وقد سعيت فيه إلى إظهار معنى التكريم في اللغة، على وجه العموم، ثم بيان معنى التكريم في القرآن الكريم من خلال استجلاب ما تعلق بالموضوع من آيات قرآنية، وتأملها، واستخراج هداياتها، للوصول إلى المعنى القرآني الشرعي الصحيح لمعنى التكريم الإنساني، لما يوضح بعد ذلك مدى صواب تلك الطروحات والآراء، وفي أي شيء خالفته.

وما من شك أن من هذه البحوث ذات أهمية بالغة لما فيها من تحري الصواب في بيان الهدايات القرآنية، والمبادئ المستفادة منها، سعياً في تقرير الصواب ونشره، لئلا يخلو الجو لمن يقرر الباطل، وينشره، فما فيها من دفاع عن القرآن الكريم كاف في أهميتها وفائدتها، ولن يخلو عمل علمي معتبر من فائدة وعائدة على صاحبه، أو على القارئين.

ورجاء حسن عرض المقصود من البحث جعلت خطته على مباحث كالآتي:

**المقدمة:**

**المبحث الأول:** وقفات مع آية سورة الإسراء.

**المبحث الثاني:** التكريم الإنساني في المنظور البشري.

**المبحث الثالث:** تقريرات ومقاربات.

**الخاتمة:**

**قائمة المصادر والمراجع.**

سلكت في تقرير مسائله منهج الاستقراء والتحليل، فاستقرأت ما تعلق بالموضوع من القرآن الكريم، مع تحليلها، كما سلكت منهج التوصيف

حال بيان تصور البعض لمعنى التكريم، مع بعض التقريرات والمقاربات.

**وقد حاولت جهدي** في الإلمام بمتعلقات الموضوع ودلائله، غير أني أعترف بكثير من التقصير خاصة حال تتبع الأفكار المعاصرة، فأنا غير متخصص فيها، ولا مطالعاتي في كتبها بالتي تكفي، فهو من الصعوبات التي حاولت تجاوزها بالاعتماد على المراجع المعاصرة في تقريب الصورة، وتسهيل العزو.

وهذا أوان الشروع في المطلوب، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

## المبحث الأول: وقفات مع آية سورة الإسراء:

آية سورة الإسراء هي قول الحق سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء]، ومع هذه الآية الكريمة نقف وقفات نستجلي فيها منها عظيم علومها، سامق معانيها، وجليل دلالاتها.

**الوقفة الأولى: وقفة لغوية وبيانية:**

-في ﴿ وَلَقَدْ﴾ جاءت الواو عاطفة ما سيأتي من تكريم وإنعام وتفضيل، على ما سبق ذكره منه، تذكيرا بالمزيد من رب العبيد، المنعم الكريم، ثم في حرف ، ما فيه من معاني التأكيد، والتحقيق، فمجيئ اللام الواقعة في جواب القسم، ثم دخول (قد) على الماضي، مؤذن بذلك، جليٌّ فيه[١].

-﴿كَرَّمْنَا﴾ (كرَّم) مضاعف من (كرُم) أفاد التضعيف فيه التعدية[٢]، والنون فيه نون عظمة المنعم العظيم الرحمن الرحيم. (كَرَّمنا) أي كَرَّمه الله وكثَّر محاسنه وشرَّفه وأَعطاه عطاءً سابغا. وقيل الإكرام والتكريم أن يوصل إلى الإنسان بنفع لا تلحقه فيه غضاضة، أو يوصل إليه بشيء شريف[٣].

-﴿بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ وهو كل من جاء من نسل آدم عليه السلام، في كل مكان أو زمان، ومن كل ملة أو دين. وقد قال بعض المفسرين أن (بني آدم) هنا هم المؤمنون فقط، ووجهه عندهم أن التكريم مزيد الإكرام، وأما الكافر فليس له أي إكرام فأنى له المزيد فيه[٤]، وفي ذلك نظر، فإن تشريف الله لسائر البشر ثابت، ثم إنعامه عليهم مشهود وفي آيات الله ثابت موجود، وما التعبير بالتكريم للكافرين إلا بالنظر إلى كثرة إنعام الله عليهم، ومزيد عطائه الدنيوي لهم، وستأتي الإشارة في الكلام على هذه الآية تفسيرا إلى كثرة ما أنعم الله به

---

(١) انظر: ارتشاف الضرب، أبو حيان، (٢٣٦٤/٥). الجنى الداني، ابن أم قاسم، (٢٥٥).
(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (٤٧٢/٣). البحر المحيط، أبو حيان، (٨٤/٧).
(٣) انظر: تاج العروس، الزبيدي، (٣٣٧/٣٣).
(٤) لطائف الإشارات، القشيري، (٣٥٩/٢).

على عامة عباده من المؤمنين والكافرين ما يوضح ذلك. فلا مانع حينها من وصف الكافر بالتكريم، بالنظر إلى كثرة ما أنعم عليه به من أمور الدنيا في جسده وحياته.

-﴿وَحَمَلْنَاهُمْ﴾ من الحَمْل وهو "الوضع على المركب من الرواحل، فالراكب محمول على المركوب"(١). وهو عام في كل ما يحمل ابن آدم، أو يحمل ابن آدم نفسه عليه، سواء مما كان من خلق الله كالأنعام، أو من صنع البشر كعموم المراكب قديماً وحديثاً.

-﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ جمع مؤنث مفرده (طيّبة) ومذكرها طيب، وهي عامة في كل ما تستلذه النفوس وتشتهيه وتحبه وتتمناه، من مأكل أو مشرب أو ملبس، أو نعيم حسي أو معنوي. فقد وصفت آيات القرآن الكريم جملة من الأشياء بالطيبة كالأرزاق عموما، والمآكل والمشارب، والمكاسب، والأزواج، والذرية، والمساكن، والأقوال والأعمال، بل والحياة عموماً.

-﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ أكّد فعل التفصيل بالمصدر لإفادة حقيقته، ودل فعل (فَضَّل) بأصله على زيادة في الشيء(٢)، ودل بوزنه على تمييز من الله له ورفع له على غيره(٣)، "وفَضَّلَه على غيرِه تَفْضِيلاً: مَزّاهُ أَي أثبتَ لَهُ مَزِيّةٍ، أَي خَصْلَة تُمَيِّزُه عَن غيرِه، أَو فَضَّلَه: حَكَمَ لَهُ بالتَّفْضيل، أَو صَيَّرَه كَذَلِك"(٤).

**وبين التفضيل الذي في آخر الآية والتكريم الذي في أولها، علاقة وفرق:**

- فقيل: التكريم منظور فيه إلى ما يتعلق بذاته، والتفضيل منظور فيه إلى مقارنته بغيره، أشار إلى شيء من هذا المعنى ابن عاشور رحمه الله(٥).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٦٦/١٥).
(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤٠٥/٤).
(٣) انظر: القاموس، الفيروز آبادي، (١٠٤٣).
(٤) تاج العروس، الزبيدي، (١٧٣/٣٠).
(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٦٦/١٥).

– وقيل: إن التكريم ما يتعلق بأمور خلقية ذاتية طبيعية، كالعقل، والبيان والخط، وحسن الصورة، فهذا هو التكريم، وبالعقل عرف الله ووحدانيته والأخلاق والفضائل فصار بذلك مُفضلاً[1].

**وأقول:** إن كرم الله يتفاضل فأوله عام للمخلوقات جميعا من كرم الإيجاد والخلق، ثم إنه سبحانه يزيده كرمه على من يشاء فيزداد تكريما، فكلما زاده تكريما كلما فُضِّل على من لم يعط ذلك الكرم الزائد، فلا يزال الأمر كذلك حتى صار ابن آدم من أكثر خلقه تكريما، فكان من ذلك أن فضل على كثير من الخلق، فما فُضِّل على غيره إلا بالتكريم الذي أعطيه، فالتكريم سبب للتفضيل، وبالتفضيل ازداد تكريما.

**الوقفة الثانية: وقفة تحليلية:**

جاءت هذه الآية الكريم في سياق ذكر منن الله على خلقه من كافة بني آدم، فكان من ذلك:

١–أن ذَكَّرهم بتكريمه سبحانه لأبيهم آدم وخلقه بيده وإسجاد الملائكة له[2]، وكان في ذلك من الكرم ما جعل إبليس لعنه الله يعترض ويقول: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ [الإسراء: ٦٢]، ثم ذكَّرهم بنعمة عصمته سبحانه عباده من إضلال هذا الحاسد الوسواس، ثم ذكرهم نعمته على عموم الناس، وتفضُّله عليهم بما مَنَّ به مِن ركوب البحر، وابتغاء الفضل والرزق فيه، وإنجائهم من أخطاره، وتذكيرهم بقدرته عليهم في كل حال سواء في البحر أو في البر، فجاء ذلك بأسلوب الاستفهام الإنكاري تنبيها على استحضار جلال الله وعدم الغفلة عن قدرته، والتحذير من أمن مكره، فإياكم أن تأمنوا مكر الله إن لم تهتدوا بهديه، وتكفوا عن معصيته، والشرك به، بعد كل تلك النعم التي منه بها عليكم، بحراً وبراً، ورزقاً وأمناً، وبعد كل هذا الإنعام والتفضُّل ذكَّرهم بمزيد

(١) حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري، (١٩١/١٦).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، (٨٦٧٩/١٤). التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، (٤٠٧/٣).

إنعامه وتفضيله فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[الإسراء: ٧٠]. ثم إنّ كل هذا الفضل لا ينفك عن الإيمان باليوم الآخر يوم الحساب، بل إنّ فضل الله سبحانه على خلقه سبيل من سبل التذكير بنعم الآخرة التي أعدها للمؤمنين. فحالُك يا ابن آدم في الآخرة نتيجة حالِك في الدنيا ومُسبب عنه، فمن كان في الدنيا ذا تذكُّر لفضل الله وحمدٍ له على تكريمه، مستعملا ما كرّمه به من عقل وتمييز وإدراك في تأمّل نعمه، وشكرٍ لها، فهو المهتدي في الدنيا الفائز يوم القيامة. وأمّا من عمي عن الهدى في الدنيا، وأعمى قلبه وعقله عن النظر في نعم الله عليه، فهو الأعمى في الآخرة، الضال في الدنيا عن الصراط المستقيم، وضال في الآخرة عن سبل النعيم، بل له فيها سبيل الضلالة، فيأخذ كتابه بشماله، وينقلب إلى سوء مآله[1].

٢-إن هذا التناسب ليُظهر بجلاء مدى علاقة الهداية والضلال في الدنيا بما تفضَّل الله سبحانه به على عامة الناس من نعمة العقل والتمييز، وهي من أخص ما قاله المفسرون في معنى التكريم الوارد في هذه الآية[2]، ومن معين أقوالهم نذكر خلاصات من معاني هذا التكريم في هذا المقام فأقول:

يقول الله سبحانه، وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَقَدْ﴾ إيذاناً بتحقق المذكور، وتأكيداً له، فقد كان من مزيد رحمة الرحيم أن أكد لهم كلامه العظيم، وزاده تأكيداً وتحقيقاً بالقسم المقدر، كل هذا تعظيم لما سيذكره سبحانه، قائلاً:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ أي شرفناهم وأَعْلَينا شأنهم وآتيناهم من خصال الشرف والرفعة ما فاقوا فيه سائر المخلوقات، وهاهنا تنافست قرائح العلماء في استجلاء صنوف **من** ذلك التكريم، فقالوا الصواب الكثير، ولم ولن يحيطوا بكل معانيه، فكل ما قيل وسيقال من قبيل التمثيل[3]،

فأنى لهم الإحاطة بما نسبه الله الكريم إلى فعله، ونون عظمته، وواسع إنعامه

---

[1] انظر: البحر المحيط، أبو حيان، (٨٢/٧، ٨٤). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/).

[2] انظر: النكت والعيون، الماوردي، (٢٥٧/٣). زاد المسير، ابن الجوزي، (٣٩/٣).

[3] انظر: أبو حيان، البحر المحيط، (٨٤/٧).

فهو القائل: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم:٣٤].

ولما تعلق وصف التكريم بـ (بَنِيٓ ءَادَمَ) وهو كل من جاء من نسله دلّ ذلك على أن ما كرّمهم به وصف يشترك فيه كل من صدق عليه أنه من ذريته، رجالاً ونساءاً، صغاراً وكباراً، مؤمنين وكفاراً، أي كل **(إنسان)** فكان من صنوف هذا التكريم:

٣-أن كرّمه بأن خلقه فأبدعه، وأحياه فأوجده، ولم يجعله عدماً. وكرّمه بأن خلقه من روح وجسد، من طين معلوم يناسب الأرض التي استخلف فيها بالعمارة، ومن عنصر سماوي يناسب ما أمر به من مهمة العبادة.

وكرّمه بأن خلقه على فطرة سليمة، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠] وأودع فيه من الخصال والخلال ما يضمن صفاء روحه بسلامة تَديُّنه، وحُسن استسلامه لخالقه. ويضمن حياة جسده، وكفاية رغباته، واستمرار نسله، وسلامة حياته.

وكرّمه بأن خلقه في أحسن صورة وأكمل تقويم، فلست ترى في الكائنات أجمل منه، ولا هو رأى أجمل من نفسه، وليس يَرى في خِلقته عضوا أو آلة في غير موضعها المناسب لها. قال تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين]، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة]. ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾[الأعلى].ثم زاده تكريماً عظيماً فجعل له العقل والتمييز وخصه به من دون سائر العجماوات والبهائم، فكرمه بالعقل عطاء وجعله مناط التكليف ابتلاء، ثم يسر له السمع والبصر ليكتمل له الإدراك والتعلم بعد أن أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا فعلمه ما لم يكن يعلم. قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان]، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ

بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل]، وقال: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾[العلق].

كرّمه بأن جعله أجناساً تتمايز في الألوان، وغاير بينها في لسان البيان، فهو به يُعرب عما في نفسه ويتواصل به مع غيره، فاختلفت الألسن بين الناس عبرة وعظة ودليل عظمة. قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾[الرحمن]، وقال: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢﴾ [الروم].

وكرّمه بأن خلق له ما في السماء وما في الأرض قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾ [لقمان]، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ وقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾[النحل: ].

وما أفلاك السماوات ونجومها وما الأرض وفجاجها إلا آيات وهدايات لك يا ابن آدم، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦﴾ [يونس]، ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ ﴾ [الغاشية]، نصبها لهم جميعا فاهتدى بها العاقلون، وعمي عنها الجاهلون قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ

ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾[الجاثية][1].

كرمه بأن خلقه عبد عبادة الاضطرار، ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد]، وأعطاه من الوسائل والنعم ما ابتلاه به في عبادة الاختيار، فقد خص الله سبحانه الجن والإنس بالتكليف، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات]. ثم بعد كرم الإيجاد والإمداد كرَّمه بإرسال الرسل لبيان تفاصيل العبادة، وسبل السعادة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، وقال: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾[فاطر]، وقال أيضًا: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾﴾[النساء][2].

وبعد كرم الإرسال وهداية البيان، كرَّمه فجعله كائناً حراً يختار أفعاله، فلا إكراه له على شيء، فقال سبحانه: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾[الكهف:٢٩]، وقال تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤٠﴾ ﴾[فصلت: ].

---

[1] انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، (١٤/٨٦٧٩- ٨٦٨٠).

[2] نفس المصدر.

فكان كل ذلك الذي ذكرت بعض أجناسه بعضا من إكرامه وإنعامه على عامة جنس الإنسان، ولو ذهبوا جميعا يعدون نعمة الله ما أحصوها قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾[النحل: ].

هذا، وقد سبقت الإشارة إلى أن من المفسرين من جعلوا التكريم هنا للمؤمنين، دون الكافرين، فإذا لم نقبل بهذا القول دافعاً لغيره من الأقاويل، فلا مانع من أن يكون مقبولاً على وجهٍ من التأويل، وذلك أن التكريم تعلق بعموم بني آدم ومن تأمل أحوال الناس في كتاب الله الودود، وتأمل ما هو في الواقع المشهود أيقن أن الله سبحانه كرم عامة بني آدم مؤمنين وكافرين تكريما بكثرة الإنعام، ثم زاد غيرهم من أهل الإيمان تكريماً فوق سائر الأنام، فكان من مزيد عطائه لهم وامتنانه عليهم أنهم: ما وفقهم إليه من الإيمان، وما تفضل عليهم به من هداية الكتب السماوية والقرآن، ولئن تلذذت الأجساد بالأكل والشراب، فلقد فتح للأرواح في عبادته والقرب منه كل باب، فمتى شاءوا وقفوا على بساط مناجاته، وأنهم على أي حال من أحوالهم إذا أرادوا أن يسألوه أو يطلبوه، سألوه وطلبوه، وأنهم مهما بلغت ذنوبهم غفر لهم إن استغفروه، ولو عادوا إلى الذنب ثم تابوا قَبل منهم على ما كان منهم.

ومن عظيم تكريمه لهم وهو العلي العظيم أنهم إذا ذكروه يذكرهم، وإن صلوا على نبيه صلى عليهم، وأنه يُحبّهم ويُحبّونه، وأنه سبحانه جل جلاله لما رضوا عنه رضي عنه، فما أعظمه من تكريم من رب عظيم كريم، لا إله إلا هو[1].

فكل هذه تكريمات لأهل الإيمان، فوق كرامة عامة بني الإنسان.

ثم قال سبحانه: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ فخص الله بالذكر والتنصيص بعض تكريمه وإنعامه، فيسر لك ما يحملك يا ابن آدم في البر والبحر، فذلَّل

(1) لطائف الإشارات، القشيري، (٢/٣٦٠) بتصرف.

لك الأنعام فجعلك تركبها، ولو شاء أن يجعلها غير مستأنسة لما كان لك ذلك، وجعل البحر ماء عظيما كبيرا تطفوا عليه بعض الجمادات فتيسر لك بذلك أن تحمل نفسك عليها، قال سبحانه: قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٞ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨﴾[النحل]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ۝٧٢ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ۝٧٣ ﴾ [يس:]. وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ [البقرة:١٦٤]. وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٤﴾[النحل:١٤]..

ولم تحدد الآية ما الذي يحملك يا ابن آدم وأُطلِق الحمل فيها فدل على عموم ما تعلق به فحين ترى القدماء من المفسرين [1] يذكرون الخيل والبغال والحمير والفلك والسفن الجاريات، ترى المتأخرين والمعاصرين منهم[2]، يذكرون المناطيد والطائرات، والبوارج والباخرات، والغواصات، وصدق الله العلي العظيم الذي قال: ﴿ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل].

-﴿ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ ونظيرها قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ﴾[الأعراف: ٣٢]، قد سبقت الإشارة في الوقفة اللغوية أن القرآن الكريم وصف كثير من الأمور بالطيبة، منها الحسيّ

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي القيسي، (٤٢٤٨/٦). البسيط، الواحدي، (٤٠٢/١٣). زاد المسير، ابن الجوزي، (٤٠/٣).

(٢) انظر: تفسير المراغي، المراغي، (٧٥/١٥). التفسير المنير، الزحيلي، (١٢١/١٥). بتصرف.

ومنها المعنوي، والطيبات هنا إنما تتناسب مع ما عُلِّقت به، ألا وهو ابن آدم على العموم، فكل ما رزقه الله وأباح له الانتفاع منه لم يكن إلا طيبا "من المآكل والمشارب والملابس والمناكح. فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم الله به ويسره لهم غاية التيسير"[1]، فكان من ما رزقنا الله ما جاء في قوله: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ [المائدة:٤]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة:١٨٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ ﴾ [البقرة:]، ﴿ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ ﴾[آل عمران]، ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ﴾ [النور:٢٦]، ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ [الحج:٢٤] ، ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠] ، ﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف:٥٨]، ﴿ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ ﴾ [سبأ]، ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ ﴾ [إبراهيم:٢٤]،﴿ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ [يونس:٢٢]،

فقد جعل الله الطيب في كل ما مكَّن ابن آدم منه، فمنهم ما رضي بالطيب مما آتاه الله سبحانه، ومنهم من اختار الخبث والخبائث. فلا وجه حينها لتخصيص رزق الطيبات في الآية بالمآكل فقط[2]، والعلم عند الله.

-﴿ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾ أي أن بني آدم الذين كرمناهم كل هذا التكريم، وسخرنا لهم كل تلك المسخرات من المخلوقات، قد فضلناهم فأعلينا منزلتهم ورفعنا شأنهم، وكانوا فوق كثير ممن المخلوقات منزلة

(1) تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، (٤٦٣).

(2) كما قد يفهم من كلام ابن عاشور رحمه الله في تفسيره لهذه الآية (١٦٥/١٥).

عند الله سبحانه. فاقرأ يا ابن آدم هذا الكلام من ربك العظيم، واعترف له بفضله عليك، وداوم حمده على ما أنعم به عليك، فبعد ذلك التكريم وكل ذلك العطاء العظيم فضَّلك، وأعلى منزلتك، ورفع درجتك فوق كثير من مخلوقاته، فاللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مبارك فيه.

هذا جملة ما يمكن ذكره من كلام ضمن هذه الوقفة التحليلية لهذه الآية لنصرف الكلام إلى وقفة مهمة أخرى.

**الوقفة الثالثة: الوقفة الموضوعية:**

وضمن هذه الوقفة سأتناول ما دلّت عليه الآية في موضوع تكريم الإنسان بوجه من الدراسة لموضوعها، والاهتداء بما ورد في الآية القرآنية الأخرى مما يتعلق بها، لتكتمل الرؤية القرآنية لهذا الموضع، وأجعلها في نقاط كالآتي:

**الأولى:** القرآن الكريم كلام الله الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ ، قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء]، فلما كان من عنده كان هو الحق الذي لا باطل فيه، والجد الذي لا هزل فيه، فهو كلام العظيم العلام ذي الجلال والإكرام، الذي كرم بني آدم ومع تكريمه لهم وصفهم بجملة من الصفات التي جعلها فيهم، ووصف الإنسان بما خلقه عليه وجعله فيه، فقال سبحانه في صفات خلقه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾[السجدة]، وقال: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ ﴾[المرسلات: ].

فبيان مَهانة أصله تجعله يعرف قدر نفسه، ويعرف نعمة ربه وخالقه عليه.

ودلت كثير من الآيات على كثير من صفاته وما جُعل فيه، فوُصف بأنه لم يكن شيئاً مذكوراً، وأنه خُلق ضعيفاً، وأنه كان ظلوماً جهولاً، وأنه ذو خصام مبين، وجدال كثير، وذو كفران وطغيان، وكنود جحود، وذو حرص وهلع

وعجل، وذو حب للمال في طلبه، وذو تقتير عليه في إنفاقه. وهي كلها من الصفات التي تدل على خلل فيه، ونقص كبير يعتريه.

فدل جميع ما تقدم على عدم التنافي والتعارض بين ما كرّم الله سبحانه به الإنسان، وبين ما وصفه به، وأنّ هذه الآيات تهديك يا ابن آدم لتعرف حقيقتك، وحقيقة منزلتك، وحقيقة تكريمك، فما كرَّمك الله به لا يمنع من أن تكون موصوفاً بتلك الصفات التي هي فيك، وما كانت فيك إلا رحمة وحكمة، فالكمال المطلق لله الواحد الأحد، وما هو فيك يا ابن آدم دليل نقصك الذي هو حقيق بك، وأن مِن كَرَم الله عليك أن هداك لما يُصلح جانب النقص فيك، فكرَّمك بأنواع من التكريم، فجعل لك العقل والتمييز، لتدرك به الصواب والخطأ، والحسن من القبيح من أمورك وأوصافك وأحوالك، وزادك تكريماً بأن هداك لدينه، وأيدك بوحيه على رسله، ليتمم لك الهدى، ويوضح لك الصراط، ويُعلمك ما جَهلت، ويَهديك إلى ما عنه ضَللت.

**الثانية:** خلق الله السماوات والأرض دليلاً على عظمته، وجلاله، وعلمه وإتقانه، ورحمته وحكمته، وجعل حياتك يا ابن آدم على هذه الأرض، حياةً دنيا، وحياةً أولى، لم يجعلها دار قرار ولا زمان دوام، بل هي عنده دار زوال، ومحل ابتلاء، ابتلى فيها من كرم من مخلوقاته بعبادته، قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات]، وتبعاً لمعنى هذه الآية، دلت كثير من الآيات القرآنية على أن عامة الناس من بني آدم عند الله فسطاطان: فسطاط إيمان، وفسطاط كفر، قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [التغابن]، وجعل سبحانه وتعالى للمؤمنين به حُسن الذكر، وجميل الوصف، ومزيد التكريم، وعظيم المنزلة عنده في الدنيا والآخرة. قال سبحانه: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القلم]،﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ [المجادلة]، فجعل لهم البشرى

في الدنيا والآخرة، وجعل فضله لهم، وأجره العظيم لهم، ومِنَّته عليهم، وهم المفلحون، وهم الذين: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال]، ووصفهم الجميل في القرآن الكريم كثير.

وجعل لغيرهم من الكافرين سيئ الذكر وقبيح الخلق ووصف المهانة والذلة، وخسيس المنزلة في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ [النحل:٦٠] فهم الذين توعدهم بيوم العسير والعذاب الأليم المهين، وهم الذين لا يحبهم الله، ولا يهديهم، ولا فلاح لهم في الدنيا والآخرة، بل لعنهم وطبع على قلوبهم بكفرهم، وختم على قلوبهم وسمعهم وجعل الغشاوة على أبصارهم، وأذلهم، وعذبهم في الدنيا وقطع دابرهم.

هذا، والحال أنهم كلهم جميعا مؤمنين وكفارا هم من بني آدم الذين عمهم بالتكريم الوارد في آية الإسراء، فكان هذا الملحظ أيضا دافعا قويا للبحث عما يهدينا إلى سبيل الجمع، ووجه الربط بين ذلك التكريم الذي كانوا في عمومه، وما خص به كل جنس منهم من الوصف.

**الثالثة:** قد صار من الضروري جداً الوقوف على سبيل الجمع بين كل تلك الهدايات، على وجه تنتظم به الآيات البينات، وسبيل ذلك في الآيات مُوضَّح وفي آي من القرآن الكريم مُصرَّح، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات:١٣]

فالعبرة بتكريم الله تعالى وإهانته، فمن أكرمه الله فلا مهين له، و﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾[الحج: ١٣]، وإنما أكرم الله سبحانه عامة بني آدم إكراماً عاماً دنيوياً، ثم أكرم فوق ذلك عباده المؤمنين إكراماً دنيوياً وأخروياً، فكانوا هم المكرمين، فلا إهانة لهم ولا هوان عليهم، وأما من رضوا بتكريم الدنيا واطمئنوا به، وركنوا إليه، وكان شأن الدنيا عندهم هو حقيقة التكريم والمهانة، فهم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ

أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر] تلك نظرتهم وذلك تصورهم، الكرم عندهم متاع الدنيا وزينتها، ولم يوفقوا إلى ما زاد عليه، فهم الذين رضوا بالدنيا والدون، وهم الذين حرموا مزيد التكريم، الذي هو أجدره بالطلب وأحقه بالوصف، وهو الإيمان بالله سبحانه، وما يتبعه ويلزم عنه، فكانوا بعد ذلك هم الذين أهان الله تعالى، وكانوا هو الذين جعلهم الله أسفل سافلين، وهم الخاسرون، وهم الذين ضل سعيهم في حياتهم، وعيشهم، وكانوا فيها كالأنعام غاية همهم المأكل والمشرب، وهم الذين لم ينفعهم ما كرمهم الله به من عقل وتمييز، ورضوا بحال البهائم فكانوا أضل منها سبيلاً، وأحط منها منزلة، ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف]. ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾[محمد]. فكما أن الله هو من كرم بني آدم فهو أيضا الذي جعلهم أسفل سافلين إن لم يؤمنوا بالله ورسله، يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾ ﴾[التين].

وكما أن الله هو من كرم الإنسان فقد جعله في خسر إن لم يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحاً، قال سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر]. وقال: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[يونس]، وقال: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾[الكهف].وكما أن الله هو من كرم بني آدم فقد جعل عليهم الذلة والمهانة إن لم يكونوا من المؤمنين،

قال تعالى: ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾[آل عمران:٢٦].

وقال: ﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المجادلة]، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المنافقون].

وكما أن الله هو من كرم بني آدم فقد جعل لهم وصف المذمة إن لم يُعملوا عقولهم التي أكرمهم الله بها لتهديهم إلى الإيمان قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأحقاف]، ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الحج].

وكما أن الله هو من كرم بني آدم فأباح لهم الطيبات أكلا وشربا فقد جعل لهم وصف البهائم إن لم يهتدوا لشكر ربهم عليها وحمده والثناء عليه بها، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد :١٢].

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف].

وكما أن الله هو من كرم بني آدم فجعل له الحياة يعيشها ويحيى فيها، فقد جعلها عليه حياة الضنك إن لم يكن فيها مؤمنا مصدقا قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه].

فتكريم عموم بني آدم الوارد في سورة الإسراء تكريم دنيوي، وتكريم الدنيا أول منازل التكريم، ثم فوقه منازل بعضها أرفع من بعض، فبعد كرم الإيجاد من العدم، وكرم سلامة الفطرة والعقل، يُكرم الله سبحانه ابن آدم بأن يكون على الدين، وأن يكون من عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾ [الجمعة]، ثم يزيده إكراماً بأن يكون على تقوى من الله فيزداد كرما عند الله ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣]، وحينها يتمايز المؤمنون، فمنهم الظالمون لأنفسهم، ومنهم المقتصدون ومنهم السابقون بالخيرات، ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٢ ﴾ [فاطر]، ثم يزداد السابقون كرماً عند الله سبحانه ويزدادون من إنعامه فيكون منهم من قال الله فيهم: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ﴾ [النساء].

ثم يختص بعض المؤمنين من عباده بمزيد كرم فيجعله منهم الأنبياء قال سبحانه: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾ [مريم:٥٨]، ثم يزداد كرمه على الأنبياء فيفاضل بعضهم على بعض، ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء:٥٥]، لينتهي الكرم والإنعام إلى أولى العزم من الرسل: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وأعلى مقامات التكريم والأرفع منها، وأوسطها منزلاً والأكمل حتى كان فردوس جنة تكريم رب العالمين لعباده المؤمنين، ما اختص به نبينا الحبيب المصطفى ونبيه المجتبى فكان أحب خلقه إليه، وأكرمهم لديه، وأقربهم منزلة منه. سبحانه ما أعظم كرمه، وما أعظم إحسانه: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ [الشرح].

**الوقفة الرابعة:**

إذا تقرر لدينا من خلال ما سبق أن التكريم الوارد في سورة الإسراء إنما هو تكريم دنيا، فهو حينئذ يتناسب مع منزلتها ومقدارها عند الله سبحانه الذي خلقها: فقد جعل الحياة الدنيا مكثاً قصيراً، قال تعالى: ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ ﴾ [المؤمنون]، ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ٤٥ ﴾ [يونس].

وجعلها متاع غرور فان وزائل فقال: ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ ﴾ [آل عمران]،﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾ [آل عمران]، ﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧ ﴾ [النساء] ، ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ ٣٨ ﴾ [التوبة]، ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦ ﴾ [الرعد].

ثم هي لمن أعرض عن الله إنما هي لهو ولعب وحياة ضنك ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ [طه]، ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ ﴾ [آل عمران]، ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ ﴾ [الحديد].

ولو كانت عند الله ذات مقام لما مكَّن منها من كفر به، وخالف أمره فأشرك به، وركب كل سبيل إلى معصيته، فما أبقاهم عليها، ورزقهم فيها، ومكّنهم منها، إلا وهي شيء مهين عند خالقها لا شأن عنده بمن أخذها أو أُعطِيها

قال تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾ [الحجر]، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝١٢ ﴾[محمد]. ولما دعا إبراهيم ربه بالرزق في الدنيا للمؤمنين، قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٢٦ ﴾ [البقرة].

وفي مقابل كل ذلك جعل الله سبحانه الآخرة ونعيمها خير من الدنيا فقال: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ ﴾ [الأعلى]، ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ ﴾ [الضحى]، وجعل سبحانه نعيم الآخرة باق ونعيم الدنيا قليل فان فقال: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦].

ولما كانت الدنيا للجميع، خص الآخرة للمتقين، والصالحين فقال سبحانه: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٣٢ ﴾ [الأنعام]، وقال: ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٣٥ ﴾ [الزخرف].

وأمر بالمسابقة إليها والمسارعة، وحث فيها على المنافسة، فقال: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ﴾ [آل عمران]، ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحديد:٢١]، ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ ﴾ [المطففين].

في كل الذي تقدم آيات كثيرة من كتاب الله، اقتصرت على بعضها، وفي السنة أيضا أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من معين القرآن الكريم، ترد عليه وتصدر منه، فهو الذي فهم عن الله سبحانه، وتدبر كلامه، وعلم مقام الدنيا من الآخرة، وأمره ربه ببيان كلامه للناس، فكام مما قاله صلى الله عليه وسلم: «**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ**

**مُتَعَلِّمٌ»**[1]، وقال: «.... **وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا»**[2].

وجعل بعض العبادات التي يحقرها ابن آدم خير من الدنيا وما فيها، قال صلى الله عليه وسلم: «**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»[3].

وجعل قليل متاع المؤمن في الجنة خيرا من الدنيا ومن عليها، فقال صلى الله عليه وسلم: «**مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، ...**»[4]. وقال: «**غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا – يَعْنِي الخِمَارَ – خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»[5].

وكل ذلك يا ابن آدم مقرر لحقيقة هذه الدنيا في المنظور الديني، والرؤية القرآنية.

ومن الملح التفسيرية في هذا المعنى تلك السياقات القرآنية التي كان الذهن ينتظر ذكر الدنيا فيها، وذكر خبر عنها، إلا أن الله الجليل لم يذكرها ولم يشر إليها، بل مر عليها القرآن الكريم مروراً مشعراً بعدم الاهتمام بها، وهوانها على خالقها فقد ذكّر سبحانه عباده بمزيد فضله، وعظمته المتجلية في خلق ابن آدم، وخلق الإنسان، وبعد ذكر مراحل خلقه بإسهاب، تشوَّف الذهن إلى ما بعد خروجه إلى هذه الحياة، ليتفاجأ أن الله رب العالمين بعد مدح نفسه وأنه أحسن الخالقين حذرك يا ابن آدم يومَ موتك وبعثك وحشرك فقال سبحانه:

---

(1) أخرجه الترمذي في جامعه (٢٣٢٢)، وغيره، وحسنه الألباني وغيره.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه (٢٣٢٠)، وابن ماجه في سننه (٤١١٠)، قال الترمذي:" هذا حديث صحيح غريب .."، وصححه الألباني.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٢٥).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٢٥٠).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٩٦).

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنون]، فتأمل واعتبر يا ابن آدم حال الدنيا التي لم تستحق عند الله أي ذكر. وتأمل مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾[عبس].

كل هذا الذي سبق يجعلنا نوقن أن تكريم الله تعالى لبني آدم وعموم الناس رغم عظيم مقامه، وجزيل نواله إلا أنه لا يساوي عند الله إلا قدراً يسيراً، فهو أدنى مراتب التكريم، وأشملها وأعمها، فمن رضي به وقنع به فقد قنع بالدنيئ من الأمور، ومن جعله غاية ما ينظر إليه من التكريم، فقد أخطأ التصور والحكم، ومن عظَّم هذا المقام من التكريم فوق حقه فقد خالف الشريعة والدين الذي جعله أقل المراتب، ومن أراد تجميل صورة الإسلام أمام الديانات والحضارات بتضخيم ذلك التكريم فوق حقه فقد خان وما نصح لنفسه ولا لغيره من الناس، إذ عظم ما لم تعظمه الشريعة، ورغب فيما حقرته، وزين الشريعة والدين بما هو أقل زينتها، بل ما جاء في القرآن ذمه إن أشغل وألهى عن الإيمان بالله وبما جاء عن الله، وعن تصديق رسله وما أخبروا به وما أمروا به.

## المبحث الثاني: التكريم الإنساني في المنظور البشري:

الإنسان هو ذلك الكائن الذي تُوِّج فوق كل الكائنات بالعقل والتمييز والإدراك، مما به ساد على غيره وسخر به المادة، ونَظّم به حياته الذاتية والاجتماعية، ولئن كان هذا الملحظ الأخير في عموم المخلوقات والكائنات التي تسوقها فطرتها إلى تدبير شؤون حياتها، فقد كان الإنسان أولى من يكون على ذلك، لاجتماع دافع الفطرة والعقل في تكريسه وتأطيره وتنظيمه، فكان من ذلك أن تَواضع البشر على جملة من القوانين والنظم التي تسوس حياتهم في مختلف أحوالها وأطوارها، سواء أكانت تلك النظم والقوانين ذات سمة دينية، أو بشرية، تلك القوانين والنظم هي ما كان النواة الأولى لما يسمى "**قانون الإنسان** أو **قانون حقوق الإنسان**"، ذلك القانون هو الكفيل بحفظ حياة الناس وبيان حقوقهم وواجباتهم، وهو الموضح عن ماهية الإنسان في فكر الإنسان، وهو ما سنحاول تتبع مفهوم تكريم الإنسان فيه في هذا المبحث.

لا شك أن تتبع تاريخ التقنين الإنساني بحثا عن بداياته، يذهب بنا بعيدا في الزمن الأول الذي وُجد فيه الإنسان، وقد دلت الهدايات القرآنية، والشرائع السماوية، وتاريخ البشرية، أن الناس جميعاً أبناء آدم، أول البشرية، والأب الأول للإنسانية، كان بشراً مخلوقاً، خلقه الرب العظيم الذي أوجده وأوجد هذه المخلوقات من الأرض والسماوات ليعيش عليها، ويحيى فيها، وينتفع منها، خلقه الله الكريم فكرمه وهيأه لما خُلق له من عمارة واستخلاف، فأودع فيه الفطرة السليمة، والغريزة الدافعة، والقيم المثلى، والإدراك والتمييز بين الصواب والخطأ.

هذا التأصيل لفكرة العلاقة بين النظم والقوانين والإنسان القديم هو الذي تدل عليه شواهد التاريخ، وامتداده إلى الوقت المعاصر، وهو ما يتبناه الفكري الديني، القائم على الإيمان بالوحي والأخبار والعلم، غير أنه قد ظهرت في الأزمنة المتأخرة من تاريخ البشرية أطروحات فكرية، ونظريات فلسفية، تتبنى

أفكارا أخرى وتبني عليها رؤيتها في تشكل تلك النظم والقوانين التي سيرت حياة الإنسان. أكثرها لا يعارض الفكر الديني من حيث الأصل، إلا ما كان من النظريات الإلحادية القائمة على مبدأ اللاخالق، وأن العالم موجود من غير موجد فهذه الطروحات الفكرية أوجدت لنفسها تفسيرات عشوائية لمنظومة القيم والأخلاق الفردية والاجتماعية التي جعلت الإنسانية تتواضع على القوانين والنظم المؤطرة لحياته الفردية والجماعية والدولية.

فحينما يقرر الفكر الديني أن النواة الأولى للقوانين الإنسانية وحقوق الإنسان نشأت مع الإنسان نفسه من خلال ما أودعه الله الخالق فيه من فطرة عامة في البشر جميعا، فهي التي تجعلهم على رأي واحد مشترك في حب قيم الخير والعدل ولإنصاف، والحب بكل أنواعه من حب الجمال، وحب التعاون وحب الرحمة وحب الإصلاح، وفي المقابل تجعله يبغض الظلم والشر والاعتداء والقتل والاستبداد، والبغي، فتلك القيم تكتسب صداقها وصوابها من ربانية مصدرها، وتكتسب لزوم الامتثال لها من قيومية الله الخالق المعبود المطاع في الأمر والنهي، فتجعل الإنسان بعد ذلك يسعى لتنظيم حياته الفردية والجماعية على ضوء ما يتلاءم وينسجم مع هذه الفطرة، وما يحقق صلاحها، وما يضمن بقاءه وسلامته.

حينما يقرر الفكر الديني هذا، نجد في المقابل الفكر الإلحادي النافي للربوبية والخالقية يعتنق وجهة من الرأي تجعل ما يسمى بالقيم الفطرية والقوانين والنواميس الفطرية جملة من المفاهيم الاصطلاحية التي استطاعت البشرية الاهتداء إليها بعد تطوُّر أنماط تفكيرها، وطول الزمان وكثرة الممارسة، أي أنها وُجدت بعد فقدان طويل، ومثل هذه القيم الاصطلاحية لا تكون لها تلك المصداقية واللزومية في التعامل والتقنين فهي أمور نسبية ليس أكثر. وعلى هذا الأساس فليس للإنسان الحديث عن تلك القيم والحقوق إلا بعد أن يستقر الإنسان إنسانا خِلقة وتفكيرا، ثم تأتي عليه متغيرات الحياة الفردية والجماعية

لتصنع فيه شيئا مما يسمى فكراً اجتماعياً، وحينما يتنازع الأفراد الحقوق يضطر لوضع نظام يحكم بينهم، ليرعى الحقوق ويبعد التنازع ويضمن استمرار الحياة، ورغم كل هذا فهي معرضة للنسبية من حيث ذاتها فضلاً عن زمانها ومكانها.

وهنا أجد من الضروري التنبيه إلى أن ذكر هذين النمطين من التفكير ليس إقراراً بالفكر الإلحادي، وإنما ذلك لبيان أصل استمداد جملة من الأفكار والنظم الأخلاقية التي ستأتي الإشارة إليها، والتي تحاول البرهان لنفسها والتدليل على صدقيتها من خلال هذا الطرح الإلحادي المتناقض(١).

إن المتعارف عليه في تاريخ بدايات قوانين الإنسان وحقوقه يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ، فتذكر بعض الموسوعات الرقمية أن معالمها تظهر فيما وجد من قوانين ونظم تنسب إلى ملوك تلك الحقب القديمة، ابتداء من إصلاحات "**أوروكاجينا**" حاكم "**لغش**" إحدى المدن السومرية، نحو سنة ٢٣٥٠ ق م، وبعده الحاكم "**أورنامو**" السومري نحو ٢٠٥٠ ق م، الذي تنسب إليه جملة من القوانين والنظم، ومرورا قوانين "**مملكة أشنونة**" نحو ٢٠٢٨ ق م، وقانون "**حمورابي**" ١٧٨٠ ق م(٢).

ولئن ذكرت بعض الموسوعات هذه الأسماء وتلك المدن والتواريخ التي تنتمي إلى حضارة الشرق الأدنى الفارسية والرومانية،

فما من شك أن إنسان الشرق الأقصى في الحضارة الصينية والهندية القديمة قد كانت له جملة من القوانين والنظم.

لا شك أن الكلام في قوانين الإنسان وحقوقه من حيث تقنينها وتفعيلها في الناس إنما هو شأن الخاصة من الناس، ذلك أن القوانين والنظم هي الإطار

---

(١) انظر في تقرير هذا المعنى ما كتبه عبد الله العجيري في كتابه "شموع النهار" تحت عنوان: المستوى الثاني النزعة الأخلاقية، (٥٧) وما بعدها.

(٢) انظر:أشنونة / https://ar.wikipedia.org/wiki/. تاريخ- حقوق- إنسان/https://ar.wikipedia.org/wiki/

الفكري العادل، والميزان الحكيم الضابط لعامة الممارسات الفردية والاجتماعية في المجتمع، وما شؤون الحكمة والعقل والتدبير إلا من اهتمامات ومسؤوليات رجال الدين والفكر والسياسة، اتخاذاً وتقنيناً، ضماناً لحسن الحياة الفردية والجماعية.

ولم تزل القوانين الإنسانية الضامنة لانتظام حياته وضمان حقوقه وكرامته، تتطور وتتبلور ما بين كلام رجل دين ورأي فيلسوف، ورجل اجتماع ورأي سياسي، وفي ظل النمو السكاني الهائل الذي عرفته القرون المتأخرة للبشرية، وما كان فيها من ثورات فكرية وصناعية وعلمية كانت كفيلة بتسهيل سبل التواصل فيما بينها، وما أعقب ذلك من حروب ونزاعات إقليمية ودولة، كانت وبالاً خطيراً وغير مسبوق على الإنسانية عموماً، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى والثانية، التي أسفرت عن جملة من القرارات الدولية كان من أبرزها مما يتعلق بالقوانين والنظم "ميثاق حقوق الإنسان".

وذلك أنه وبعد الحربين العالميتين، وما تميزتا به من شراسة وقوة تدميرية راح ضحيتها ما يقارب ٢٠٠ مليون من البشر، استفاق الضمير الإنساني من هول الفاجعة، وراح يسعى لوضع جملة من التدابير والقوانين التي تحفظ حقوق الإنسان وكرامته، وانبثق الضمير الإنساني والعقل البشري حينها عن اتفاقيات جنيف الأربعة سنة ١٩٤٥م، وبروتكولاتها المتممة، فكانت البداية ثم انتهى الأمر بميثاق الأمم المتحدة الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٤٨م.

وقد كان هذا القانون خلاصة الأفكار البشرية وقمة ما تراه من حقوق للإنسانية، وقد ذكرت بنوده جملة لا بأس بها من الحقوق الإنسانية الكفيلة بضمان كرامته.

فهو "**المثلُ الأعلى المشترك الذي ينبغي أن تبلغه كافة الشعوب**

**وكافة الأمم**"[١].

وهو القانون الذي سيكون بما تضمنه من حقوق ثابتة ومتساوية مشكلاً "**أساس الحرية والعدل والسلام في العالم**"[٢]، فبحسب ما تضمنه فهو القانون الذي يرى: "**جميع الناس أحرار متساوين في الكرامة والحقوق**"[٣]، منذ الولادة وبيّن "**ما لكل إنسان على وجه المعمورة من حقوق وحريات متساوية لا يمكن تجريده منها**"[٤].

فكان بذلك القانون الذي زود "**الشعوب في جميع أنحاء العالم بأداة قوية لمكافحة الظلم والإفلات من العقاب، وإهانة كرامة الإنسان**"[٥]. هنا يجدر بنا الاطلاع على هذا القانون الإنساني الذي ضمن كرامة الإنسان، لنتلمس جملة ما وضعه من قوانين وما يرتسم وراءها من مقاصد.

إن أي صاحب نظر وفكر يطلع على قانون الأمم المتحدة، يرى بعين اليقين أنه قانون مادي بامتياز فهو لم يخرج في كل فصوله وفروعها عن ضمان شؤون حياة الشعوب المادية فحسب، كـ: الحرية والمساواة في الحقوق كالحق في الحياة والأمن، والحماية القانونية، وحق التملك، والتدين، وحرية الرأي، والحق في العمل والراحة، والحق في التعليم، فهي في جملتها لا تخرج عن إطار الحياة المادية بما يفهم منه أن كرامة الإنسان في المنظور الأممي إنما هو ضمان الحياة السعيدة في شقها الجسدي الجسماني، وإطارها الزمني حال حياته، فهي أقصى ما تسعى إليه جهود البشرية عموما. فهي حينئذ بحسب ما سبق تقريره من رؤية دينية شرعية قرآنية لمفهوم التكريم، لم تتجاوز التكريم الرباني الدنيوي

---

[١] الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة، نسخة مع صور موضحة طبعت سنة ٢٠١٥، (٣).

(٢) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة، (١).

(٣) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة، (٤).

(٤) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة، (التمهيدiii).

(٥) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة، (التمهيدiii).

للإنسانية، وبني آدم. وقد سبق أن دللنا أن هذا النوع من التكريم ليس شيئا مذكورا في ظل الرؤية القرآنية.

ثم إن تضمن قانون الأمم المتحدة لضمان حرية الرأي والتدين، إنما هو حرية اختيار الإنسان لما يعتنقه من الدين سواء أكان حقا، أم باطلا، فكل الأديان في المنظور الأممي البشري على مقام سواء. خلافا للمنظور القرآني الذي يعتبر الدين الصحيح هو دين الإسلام في كل زمان ومكان.

هذا، وقد تبع ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان جملة من القوانين الإضافية، كاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة ( Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination Against Women:) المعروفة اختصارا باتفاقية (سيداو: CEDAW) عام ١٩٨٠م، واتفاقية حقوق الطفل ١٩٩٠م، والتي لم تخرج في مضمونها عن مفهوم التكريم الدنيوي للإنسان، والاعتناء بجوانبه الحياتية، هذا إن أعملنا حسن الظن حالة قراءة تلك القوانين، وإلا فقد حملت في طياتها كثيرا من المبادئ والقوانين المخالفة للعادات والتقاليد والقيم، الدينية واللإنسانية، ثم إنها من حيث تطبيقاتها في العالم العملي نلحظ فيها ذلك التعاطي النسبي، والبراغماتي النفعي في التوصيف والحكم والتفعيل، وليس المقام مقام نقد لها ودراسة لها على محك الدين والعلم والفطرة، إلا أننا نتخذها وسيلة لتلمس مفهوم التكريم الإنساني فيها.

ثم إن كان هذا الذي سبق تسطيره باختصار يمثل مفهوم تكريم الإنسان في المفهوم البشري لواحدة من أرقى مؤسسات الفكر وصناعة القرار على المستوى الدولي، والتي اجتمع فيها جمع كبير من المسؤولين والكفاءات العلمية من مختلف التيارات الفكرية، والمذاهب الدينية، هذا من جهة، ثم هي من جهة أخرى تنطلق من واقع عالمي معيش محسوس، بعد ما رأته عيانا ممن أحوال البشرية في العالم إبان الحروب العالمية، واللإقليمية، وليست تنطلق من تصورات

فلسفية، أو آراء مجردة، ومع كل ذلك كان ميثاق الأمم المتحدة أقصى ما يبلغه التصور البشري في توصيف وتفعيل التكريم الإنساني.

إذا كان هذا فلنا أن نتصور ما هو أبعد عن المنظور القرآني في تقرير حقيقة التكريم الإنساني حال مقارنته بالفلسفات الفردية، والآراء الشخصية. وأبعد من ذلك جميعا تلك الآراء والفلسفات المعاصرة التي تبلورت في ظل التغيرات الكبيرة التي طرأت على فكر الإنسان المعاصر فصار الإنسان المعاصر المُفكر يُفكر بنمط وأسلوب صُنع له ليُفكر به فصار إلى قناعات مغلوطة، مغلوطة من جهة حقيقتها بسبب الغلط الذي وقع في مقدماتها والغلط الناتج عن خلل مستثمر تلك المقدمات والمستنبط منها، فكما يقع الخطأ بسبب مقدمات البرهان، يقع أيضا بسبب واضع تلك المقدمات، وطريقته في استنباط النتائج المبنية عليها.

ومزيداً في توضيح ذلك أقول إن الفلسفات القديمة، والنظريات الفلسفة في التاريخ الوسيط، سواء منها المتأثرة بالدين أو غير المتأثرة به، كانت لا تبتعد عن بعضها البعض في نتائج أحكامها، لأنها تنطلق من مقدمات مشتركة، منها أن الإنسان مخلوق، وأنه ضعيف عن بلوغ الكمال، وأن تمايزه الجنسي بين أفراده له علاقة بحياته وحسن سيرها، وضرورة من ضرورياتها، وأن العقل هو الحكم، وأن الناس يتمايزون فيه من حيث السن ومن حيث الجنس. إضافة إلى اعتبارها مبدأ الدين مبدأ موجودا في حياة الإنسانية فلا يلغون اعتبار أثره في حياتهم. ومن طالع مختلف الآراء الفلسفية في مفهوم الأخلاق والقيم يلمس فيها التأثر بالعقل والدين، أو على الأقل عدم المعارضة بينهما[1].

ولما تغير الزمان وغُيرت كثير من المفاهيم فيه، وانتشرت في الناس وخاصة

(1) انظر: محاضرات في فلسفة الأخلاق، صباح قلامين، مركز جيل البحث العلمي، لبنان طرابلس، ماي ٢٠١٥، (٦١).ومقال جيد على النت بعنوان: الدين- الفلسفة – أي – علاقة – بينهما https://www.harmoon.org/researches/

في العالم الغربي اللاديني كثير من أفكار الإلحاد ونظرياته، وإفرازاتها، زاد البون واتسع الفرق بين نظرة الإنسان المعاصر، ونظرة الإنسان قبله، فنظرية دارون التي تجعل الإنسان ذا نشأت ذاتية، موجودا وجودا عبثيا لا غاية فيه، هي ما فتح الباب أمام مذاهب العدمية، ومذاهب الإنسانية:

فمذهب العدمية الذي لا يقيم وزنا للحياة لا يجعل للإنسان فيها أي اعتبار فهو مخلوق لا معنى له. فكرامته وعدمها أمران متساويان. وفي الصعيد الآخر يقابله مذهب الإنسانية الذي يجعل الإنسان إله الوجود، ومركز الكون. ومحل كل تفكير فكرامة الإنسان هي كرامة مقدسة إلى فوق كل غاية[1].

إضافة إلى أن تركيز نظرية دارون على مبدأ التطور والارتقاء وبقاء الأصلح، والانتخاب الطبيعي، تبعه الحكم بالنسبية على كثير من القيم والأخلاق، فما كان يُرى سابقاً صواباً وحقاً قد يُرى اليوم غير ذلك، بما جعل التعاطي معها يختلف عما كانت عليه ممارسات الإنسان نفسه قبل انتشار مثل هذه الأفكار والقيم الإلحادية[2].

وكأوضح الأمثلة المعاصرة المشهودة وفي ظل التسارع المحموم نحو أفكار يراد لها أن تنتشر وأخرى يراد لها أن تنقرض لن نستغرب أن المثلية الجنسية التي كانت تهمة أخلاقية عند الغرب نفسه، قد أصبحت اليوم عنده شيئاً مقبولاً بل مقنناً يدافع عنه، وتبرم له القوانين لتفعيله وحمايته، ولن نستغرب إن صارت يوما ما من مظاهر التكريم الإنساني.

---

(١) انظر: معجم مصطلحات الفلسفة، جلال الدين سعيد، (٦٢، ٦٣، و٢٨٦- ٢٨٧).

(٢) انظر في تقرير هذا المعنى ما كتبه عبد الله العجيري في كتابه "شموع النهار" تحت عنوان: المستوى الثاني النزعة الأخلاقية، (٥٧) وما بعدها. معجم مصطلحات الفلسفة، جلال الدين سعيد، (٤٦٥).

## المبحث الثالث: تقريرات ومقاربات:

إن ما سبق تقريره في المبحثين السابقين يوردنا آخر مباحث هذا البحث للحديث فيه عن جملة من الاستنباطات والرؤى المأخوذة منها، وهي ما أسعى لعرضه في جملة من النقاط، فأقول:

**أولاً: التكامل المعرفي والمنهجي في بناء الهداية القرآنية:**

إن ما تقدم تقريره وعرضه ضمن الهدايات القرآنية في مفهوم التكريم الإنساني يأخذ قوته، ويستلهم برهانه، ويستجلب قطعية دلالته من ذلك التكامل العلمي والمعرفي بين جملة من الأدلة القرآنية والنبوية، المدروسة وفق مناهج التفسير والتدبر والاهتداء القرآني، فبعد النظرة التفسيرية التحليلية المبينة على معنى آية سورة الإسراء، تأتي النظرة التفسيرية الموضوعية لتجلية الصورة، وتوضيح معنى التكريم من خلال جمع متعلقات دلالته في آيات الذكر الحكيم، وانتهاء بالرؤية المقاصدية القرآنية التي جعلت مفهوم التكريم الإنساني في القرآن الكريم ذا أبعاد عدة.

كل ذلك يظهر بجلاء أهمية استجماع المفسر أو المهتدي بالقرآن الكريم لسائر تلك المناهج المعينة على الفهم السليم المتكامل، ثم يزداد يقينا في صواب قوله واستنباطه حينما تتفق دلائل الآيات النصية، مع مآلاتها المقاصدية، فمقاصد القرآن الكريم حينها إطار ضابط، ومراقب شاهد على صواب الاستنباط والفهم، فالقرآن الكريم جاء لمقاصد كثيرة منها الكلية ومنها الجزئية، وقد نص جمع كبير من أهل العلم أن من مقاصد القرآن الكريم الكبرى، الإيمان بالبعث والنشور والحساب والإيمان بالآخرة وما فيها من وعد ووعيد، وأنها هي الحياة الحق، بدأ من الغزالي رحمه الله في "جواهر القرآن"[١]، والزمخشري رحمه الله في "تفسيره"[٢]، وابن العربي رحمه الله في "قانون التأويل"[٣]،

---

(١) (٢٣- ٢٤).

(٢) (١/١).

(٣) (٥٤١- ٥٤٢).

وغيرهم كثير[1]، وحينها تكون هي محل الاهتمام والرعاية، فلا يمكن بحال من الأحوال أن يكون من مقاصد القرآن الكريم الكبرى مقصد الاهتمام بالدنيا والسعي لها والانهماك فيها والتطلب لها تطلبا يلغي المقصد الآخر، فقد قرأنا في آيات الذكر الحكيم وصف حال الدنيا ومنزلتها من الآخرة، ووصف من ركن إليها وألْهَته عن والإيمان بالله واليوم الآخر، وقد تقرر في العقول السليمة أن لا تَعارض بين مقاصد القرآن الكريم الكبرى، ولا تُعارض المقاصد الكلية الكبرى بأخرى جزئية، وإنما ينظر في الجزئي بوجه من الجمع له مع الكلي، أو بإلغائه واعتبار الكلي. وعلى هذا نرى في مفهوم القرآن الكريم للتكريم الإنساني انسجاما تاما مع المطلوب منه ككائن يعيش حياته لتستمر الحياة، وكمكلف يستعد منها ليوم بداية حياته السرمدية الأزلية.

**ثانياً: الرؤية القرآنية ضمان للوسطية:**

القرآن الكريم كلام الله سبحانه الحكيم العدل، وهداياته هي سبيل الصلاح في الدنيا والآخرة، ومعاييره هي ضمان الوسطية في الرأي والفكر والعمل، وتبعا لهذا فتقرير مبدأ التكريم الإنساني في ضوء الهدايات القرآنية على السبيل والوصف الذي سبق يعطينها الصورة الوسطية لتلك القضية ومكوناتها (الحياة، الإنسانية)، ولإنسان متكامل الوجود روحاً وجسداً. فرداً وجماعة ومجتمعاً.

فلا هو بالذي يقدسها إلى حد المبالغة والغلو في اعتبارها، ورفعها فوق منزلتها، ولا هو بالذي يفارقها ويلغيها إلى حد جفاء الرهبانية والفردانية المفسدة لنظام الحياة المتكامل، وحال الإنسان الاجتماعية.

فالله كرم الإنسان بالعقل ليعمل به في شتى مجالات الحياة وخير البشرية فردا ومجتمعا، لا لأن يجعل عقله سبيلا إلى مختلف شعب الفساد والطغيان، من تكبر على الحق، والاستكبار على الضعيف، فضلا عن التكبر على الدين

(1) كالرازي في تفسيره (١٥٦/٤)، وابن جزي الكلبي في تفسيره (١٤/١)، والشاطبي في الموافقات (٢٠٤/٤).

وشعائره والوحي ومسائله، وكرم بالعقل ليهتدي به إلى منافع العلم والاختراع وتيسير سبل الحياة المختلفة، لا لأن يستعمل في تكريس الشر ووسائله.

والله سبحانه كرم الإنسان بتسخير الوجود له ليستفيد منه في خير حياته، على سبيل الوسطية من غير إسراف أو تقتير، ولم يكرمه به ليجعله محل قرار وزمان استمرار ومطية للتنافس المفضي إلى الحروب والنزاعات، والحرص على استنزاف خيراته على سبيل الجشع والاحتكار.

والله سبحانه كرم الإنسان فبث فيه غرائزه ونزواته فهي التي تضمن له رغبته في البقاء والعيش واستمرار الجنس البشري، لعمارة الأرض والاستخلاف عليها، واستمرار التدافع فيها، وأكرمه بمكملاتها وسبل تحصيلها على الوجه المشروع والنافع له، فليس من الوسطية أن يركن إلى شهواته ونزواته وغرائزه فيجعلها مقصده في حياته، ولا أن يصرفها في غير وجهها مما يفضي به إلى القضاء على جنسه وتعطيل استمرار نسله، فيتوقف سير الحياة وناموسها أو يتعثر عن كمال السير. ولا بد من لفت النظر هنا إلى أن كرم الله على ابن آدم بالعقل والتمييز والإدراك كفيل بضبط تلك النزوات والغرائز ضبطا ذاتيا، كما يمكِّنه من وضع قوانين لضبط ذلك على المستوى الجماعي، والمجتمعي، وإنما وقع الخلل في البشرية لما لم تنضبط بوسطية التكريم القرآني للإنسان الذي جمع له بين طلب الدنيا بقدرها، وطلب الآخرة بقدرها.

**ثالثاً: الهدايات القرآنية رؤية مستقلة وذاتُ صدارة:**

إن مفهوم القرآن الكريم للتكريم الإنساني لما اتسم به من وسطية وحكمة، من شأنه أن يصحح كثيرا من المفاهيم المغلوطة والمنحرفة بقصد أو بغير قصد، ونعني بها تلك الأطروحات الفكرية التي تتراوح ما بين التصوير منحرفة والمقاربة مغلوطة.

إن مفهوم القرآن الكريم للتكريم الإنساني مفهوم رباني، من لدن حكيم عليم، فهو الذي سبق جميع التصورات والذي يلغى كل المفاهيم، وهو المتصدر

عليها، والمتبوع منها، وكل المقاربات الذهنية البشرية ملغاة به، ومنسوخة به، ومؤخرة عند ذكره، وتابعة له غير متقدمة عليه، ففضل المفاهيم والقرآنية على البشرية كفضل الله سبحانه على خلق. وعلى هذا فإن أي محاولة قراءة للآيات القرآنية، وهداياته الربانية على النحو الذي يكرس لتلك المقاربات البشرية، يعد خيانة لله ولكتابه، وقد ابتلينا في أزمنتنا المتأخرة بتتابع كثير من المفكرين على هذا النسق من التفكير، فما تظهر في الناس فكرة إلا ومالوا بالقرآن والإسلام إليها، وما خرجت عليها الدول العلمانية المستقوية على الناس بالاستعمار والتقنية بمذهب، إلا وجعلوه مذهبا للإسلام، وما ظهر العالم الغربي بزي إلا وألبسوا الإسلام ذلك الزي، سعيا – في ظنهم – إلى تلميع الإسلام، وتصويره بالصورة الحسنة التي تجعله يوافق ويصلح لكل زمان ومكان ومذهب وتيار وفكر. فإبان الفترة الاشتراكية صور الإسلام والقرآن على أنه مذهب اشتراكي. ولما ظهرت القطبية الرأسمالية قالوا الإسلام رأسمالي.

ولما تبنت الدول الغربية – زعماً باطلاً – الديمقراطية قالوا الإسلام أبوها الذي أرسى أركانها وقواعدها.

وفي زمن التحرر والحريات والتعددية الدينية قالوا قد كانت مكفولة في الإسلام منذ أربعة عشر قرناً.

وفي زمن الإنسانية وتقديس البشر قالوا لا أسبق من الإسلام والقرآن في اعتبارها والأخذ بها.

وهكذا نجد المفاهيم الإسلامية تتمايل كل مرة إلى ناحية، وتتبع كل مرة فكرة، وتكون في كل مرة مسبوقة لا سابقة، وكل هذا من الباطل العاطل، الذي لا يقره مؤمن يؤمن بأن القرآن والإسلام دين الله العليم الحكيم، الذي إنما منَّ به على خلقه لهدايتهم للسبيل الأقوم في كل شيء فهو المتبوع لا التابع، وذلك متوقف على الاهتداء به وفق قانون الاهتداء السليم، القائم على الفهم الصحيح للقرآن والسنة، ديناً وشريعة، ثابتاً ومتغيراً، نصاً ومقصداً، وفق رؤية

متخصصة جماعية تضمن اشتراك الآراء وتلاقح الأفكار وتكامل العلوم والمعارف الدينية والدنيوية في صناعة الهداية القرآنية الصحيحة.

هذا المعيار والمنهج هو الكفيل ببيان الحق والعدل المستكن في الهدايات القرآنية كما أرادها الله سبحانه، وهو الكفيل بحفظ الدين وحفظ فهمه، وسلامة تبليغه لمن سيخلف. أما السعي في تشكيل القرآن ومفاهيمه على ما يوافق الأفكار المتختلفة، والمتسارعة في التغير، فما هو إلا مزيد مسخ للدين والهوية، وزعزعة للثوابت وتغييب للحقيقة.

**رابعاً: الهدايات القرآنية شاهد على الزمان:**

بات من الواضح لدى كل عاقل متابع لحياته وحياة العالم من حوله قريباً وقديماً، بات واضحاً لديه ذلك البون الشاسع والشرخ الكبير، والانفكاك الواضح بين ما يقرره البشر من قيم أخلاقية، ومبادئ إنسانية، في إطار نظري فكري، وبين ما يمارسه هو نفسه في حياته فعلاً وعملاً،

وليس بعيداً عنا شعار إحدى الدول الغربية الأوربية الذي ملأت به آذان العالم وأسماعه (حرية إخاء ومساواة)، إلا أنها كانت أكبر الدول استعمارية ووحشية ودموية، وإرهابا وقمعا وتجهيلا وتضليلا، وشواهد ذلك في مستعمراتها الإفريقية واضح إلى وقتنا الحاضر.

هي نموذج للإنسان الذي يرتدي زي التحضر وقيمه وشعاراته، على جسد شيطان غادر، لا يتوقف يتجمّل أمام الناس زورا وكذبا بأقوال وشعارات قد عزم لحظة قولها ورفعها على مخالفتها والدوس عليها.

هي نموذج من نماذج الدول العظمى في عصرنا الحديث، التي ادعت زمناً طويلاً رعاية حقوق الإنسان والبشرية، ونشر السلام والحرية والمساواة بين شعوب العالم، ولطالما سطرت في سبيل ذلك البنود ووقعت الاتفاقيات، ثم صارت على الملأ صوة وصورة أول الناقض للعهد، والخائن للذمة، في مشهد صارخ بتكريس المبدأ الفرعون: (ما أريكم إلا ما أرى).

وحينها يقف العاقل مذهولاً متحسراً لحل الكرامة الإنسانية أين هي؟ وكيف هي؟ وما سبيل خلاصها؟ ومن الذي سيحميها؟، في عالم لا يؤمن مسؤولوه إلا بالمصلحة والمنفعة الذاتية، فقد صار من وضعها ليحرسها أول خائن لها. وهنا يهمس صوت الحقيقة والدين والهدايات القرآنية في أذن كل مطالع للتاريخ ليذكره ويبث فيه الأمل ويذكره بالتاريخ الذي كان أصدق شاهد على أمة إسلامية ودول إيمانية قرآنية تعاقبت على الزمان شرقاً وغرباً، شهد لها أنها بلغت مبلغاً عظيم في نشر العدل وسياسة الناس بالحق...

**خامساً: الهدايات القرآنية حفظ للبشرية:**

إن المنظور البشري لمفهوم التكريم الإنساني، والقائم على العناية بجانبه المادي والجسدي، قد ألغى من الإنسان شقه ونصفه، وعنصرا كبيرا جدا مما يكوِّنه، ألا وهو روحه، فصارت البشرية لذلك لا سعي لها إلا في سبيل جسد وشهوة وجمال ومال، غارقا في إشباع شهواته الجسدية، إلى حد اغتال فيه روحه وقتلها بين جنبيه، ووَأَدَها بيديه، ويوما بعد يوم تغير منحى حياته، فقد اعتاد جسده شهواته، فصارت بلا لذة وصارت حياته بلا معنى، ثم استهوت الشياطين وزينت له فعل أي شيء فليس ثمة شر وليس هناك ما هو قبيح فالأمور نسبية، وكل يراها برأي فازدادت حمى الجسد وسعار الشهوات، فمن الحرية الجنسية، إلى الخيانات الزوجية، وزنا المحارم، ومن اللوطية والمثلية وجنس القُصَّر، إلى مفهوم الجندر والتحول الجنسي، ثم من حقوق المرأة إلى حقوق المثليين، ومن حق الإنسان في إنسانيته إلى حقه حيوانيته وبهيميته، ومن حقه في حياته إلى حقه في موته وانتحاره، فما فائدة هذه الدنيا، التي أولها شهوات بلا طعم وآخرها حياة بلا غاية، فليس بعد ذلك إلا الفناء وتغيير نمط الحياة إلى اللاحياة. كل هذا من لما نظرنا إلى الإنسان جسدا فقط.

وفي هذا المنعرج الحياتي، والمنزلق الفكري تأتي الهدايات القرآنية بتكامل رؤيتها للتكريم الإنساني، ووفق منظورها الشامل الذي يلحظ في الإنسان شقي تكوين

روحه وجسده، فيعطي الجسد ما يقمه ويصلح وينفعه، ويعطي الروح ما يحييها ويرشدها إلى غايتها، ويجيب عن تساؤلاتها، ويشرح لها حالها وغايتها ومآلها. فهي بذلك أنجح طريق وأنجع سبيل إلى حفظ البشرية والإنسانية وسلامة حياتها روحاً وجسداً، وجسداً وروحاً.

**الخاتمة:**

هذا آخر ما أردت تسطيره وكتابته في هذا الموضوع الحري بمزيد من التحليل والتفصيل، وجمعا لعض خلاصاته وتوصياته في هذه الخاتمة أقول:

١-كان من فوائد الوقوف على الجوانب اللغوية في آية سورة الإسراء التأكيد على دلالات ألفاظها، فكلمة (بني آدم) نص في إرادة عموم الناس كفار ومؤمنين. كما أن لفظ (حملناهم) فيها لما لم يذكر في الآية متعلق الحمل ناسب أن يعمم في كل ما يصلح له. وأخيراً لفظ (الطيبات) الذي شمل كل ما رزق ابن آدم ولا يصح قصره على المآكل فقط.

٢-دلت آية الإسراء وحدها على عظيم منته الله على عموم عباده، ورحمته بهم، فما تضمنته من نعم وعطايا شيء يفوق تخيلك يا ابن آدم.

٣-ظهر في البحث فائدة إعمال مناهج التفسير، وتكامل استظهار المتأمل للهدايات القرآنية بالتفسير التحليلي والموضوعي الكفيل بالبيان الصحيح والشامل لمفهوم التكريم الإنساني، وغيره من المفاهيم القرآنية.

٤-أوضح البحث أن التكريم الإنساني في الرؤية القرآنية معراج ذو منازل ومراتب ودرجات، فأولها تكريمه كرما دنيويا، وأعلاه تكريم الكرم الديني الأخروي، وبين هذا وذاك منازل كثيرة.

٥-دلت فقرات البحث المتعلقة بالتفسير الموضوعي للآيات على صواب ما أخذ منها من معنى لاجتماع معاني كثير من الآيات القرآنية بعدة أوجه في الدلالة عليه، موافقة ما تقرر من مفهوم التكريم الإنساني في البحث.

٦-دلت فقرات البحث على صواب ما عرض فيه من معنى لمفهوم التكريم الإنساني في القرآن الكريم لاندراجه ضمن مقاصد القرآن الكريم الكلية والقطعية، وتطابقه مع ما دلت عليه السنة النبوية.

٧-أظهر البحث جملة من جوانب المادية المحضة الموجودة في قانون حقوق الإنسان والذي يعتبر أرقى ما وصلته البشرية في مسألة التقنيين لكرامة الإنسان والإنسانية.

٨-نبه البحث على ضرورة الاعتناء بالوعي القرآني والمفاهيم القرآنية لضمانها لمبدأ الوسطية في صناعة الإنسان روحاً وجسداً.

٩-نبه البحث على ضرورة تقديس المفاهيم القرآنية والاعتناء بالهدايات القرآنية في جعلها قانون الحياة الأول وتقديمها على كل الرؤى الفكرية البشرية الفردية منها أو الجماعية.

وأخيراً وختاماً هذا ما تيسر تسطيره، وذكره في هذا البحث، وهذه القضية وأسأل الله تعالى التوفيق في القول والفعل، والسداد في الرأي والعمل، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد،

**والحمد لله رب العالمين.**

## قائمة المصادر والمراجع:

١. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة، نسخة مع صور موضحة طبعت سنة ٢٠١٥.

٢. البحر المحيط، أبو حيان، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٣. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر تونس، ١٩٨٤ هـ.

٤. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، المحقق: عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٥. التفسير البسيط، الواحدي، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٦. التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ.

٧. تفسير الشعراوي، الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٨. تفسير المراغي، مصطفى المراغي، الناشر: مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

٩. التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

١٠. تفسير مفاتيح الغيب، الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

١١. تاج العروس، الزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٢. تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ت اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

١٣. الجنى الداني، ابن أم قاسم، المحقق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م

١٤. جواهر القرآن، الغزالي، المحقق: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

١٥. جامع الترمذي، الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٦. الجامع الصحيح، البخاري، ت مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٧. الجامع الصحيح، مسلم، إ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

١٨. حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٩. ارتشاف الضرب، أبو حيان، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

٢٠. زاد المسير، ابن الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٢١. سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي

٢٢. شموع النهار، عبد الله العجيري، مركز تكوين، الطبعة الرابعة، ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.

٢٣. القاموس المحيط ، الفيروز آبادي، ت مركز الرسالة ...، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٢٤. قانون التأويل ابن العربي، دراسة وتحقيق: محمّد السّليماني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢٥. الكشاف، الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢٦. لطائف الإشارات، القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة

٢٧. المحرر الوجيز، ابن عطية، ت عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٢٨. محاضرات في فلسفة الأخلاق، صباح قلامين، مركز جيل البحث العلمي، لبنان طرابلس، ماي ٢٠١٥.

٢٩. معجم مصطلحات الفلسفة، جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر- تونس، ٢٠٠٤م.

٣٠. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣١. الموافقات، الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣٢. النكت والعيون، الماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٣٣. الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القيسي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

**مواقع الأنترنت:**

٣٤. أشنونة / https://ar.wikipedia.org/wiki/

٣٥. . تاريخ- حقوق- إنسان/https://ar.wikipedia.org/wiki/

٣٦. الدين- الفلسفة – أي – علاقة – بينهما
https://www.harmoon.org/researches/